قصة (وردة يا ورد)

بقلم الكاتبة "أشرقت أبونجم"

لم تستطع أن تجزم هل كان القدر من يلاعبها أم أنه وجع وُلد معها منذ ولادتها بقرية صغيرة بالصعيد تمتليء بالجهل والتخاريف بما يسمي العيب والعيب وفقط متناسين كلمة حرام ليجعلوا من كل فعل يصدر من الأنثى عيب فنشأت على الجهل من أول التخاريف والشعوذة حتى وصل بهم الأمر لتحريم الحب وكأنه زر يتم الضغط عليه بسهولة غير مبالين بأنه مجرد شعور يختلجك ليحتل كيانك بدون إرادة كالمرض الذي لا خلاص منه لتكون هي وحدها من تتحدى العادات والتقاليد لتقع صريعة رجولته ويقع هو صريع عيناها.

تتمسك بكتاب وعلى ما يبدو أنه رواية رومانسية تستلذ بها وكأنها تغوص بعالمها الخاص ليقطعها صوت جدها الأكبر

- ورد
- نعم يا جدي
- تعالي يا بنية

تركض على جدها لتتوسط حضنه الدافئ فدوماً ما كان هو أمانها بعد رحيل والديها ليصر كل الإصرار على نشأتها نشأة طيبة ويكمل حلم والدها الغالي في إكمال تعليمها لتظل ممتنة له طوال سنوات عمرها العشرين

- ولد عمك وصل من سفره وبعد بكره نعمل الخطبة وبعدها الفرح

تصمت كمن لدعها ثعبان فلم تنطق ببنت شفة للوهلة الأولى تتذكر ماضي وحبيب حتى ردت بكل قوتها

- لا يا جدي

كانت حاده كعادتها ولكن كأي رجل صعيدي لم يتحمل كلمة لا من صغيرته ليعلو صوته بحده منهياً النقاش

- وه اياك تفكري اكمن تعلمتي تبقي بنت البندر لا لساتك تحت رحمتي

لم تستطع حبس دموعها لتركض بعيداً متجه نحو غرفتها خلفها جدتها تحاول التهدئة من روعها ولكن قد وقع المحظور لتقرر التحرر من كل قيودهم حتى لو كان فيه نهاية حبها.

وعند سواد الليل وتحديدا تحت حبات المطر الشديدة، يعلو صوت الرعد لينافس الديابه بالأرجاء تتوحش بعبائه سوداء تركض وخلفها شعرها الغجري يتطاير من شدة الهواء أو كأن السماء تنعي حادثة أودت بها للجحيم فقد وقعت الصاعقة على أهل الدار بهروب حفيدتهم الصغيرة ليعلو صوت نواح النساء ويشتد صراخ وثوران رجال الدار وبالوسط يتوسط الجد بملامح مبهمة كرجل صعيدي جرح بكرامته، بشرفة ويا ويل الشرف عند الرجال

لم تعلم أين تأخذها أقدامها فاسترسال دموعها اللؤلؤية وكأنها تنافس حبات المطر جعلها مشوشة ليقطعها نور شديد جعلها تقف مع نظرة سلبتها روحها لتقع بين يدية بإغماء مفاجأ له ولها

لم يدرك ما حصل حوله فللوهلة الأولى وجدها تركض لتتصنم تناظره بنظرة ألمت فؤاده فلم يرى بالظلام سوى لمعة عيناها ودموعها الحزينة

لتقع بين يديه مستسلمة لقدرها فلم يعي عليها إلا وهو يحملها بين أحضانه غائبه الوعي يناظرها بشفقة وحب خفي

يضعها بلين بالكرسي الخلفي للسيارة متوجه إلى وجهته المعلومة بالنسبة له فمنذ أن كلمه جده و أبعث له بصورة محبوبته الصغيرة وقد آثر على أنها له فكيف يترك حب طفولته يضيع هباء ولكن ها هي بين يديه يحملها كأنها قطعة زجاج هاشة يغرقهم المطر مع دموعها الجافة أعلى جبينها.

لم تكن يوماً سوى صغيرته أحبها وأحبته ليتحدوا كل التقاليد التي ترفض الحب وكأنه لعنة ليقع هو وهي وحدهم لحصار لعنة الحب فكانت صغيرة لم تتجاوز الخامسة عشر أما هو فكان بعمر الخامسة والعشرين ليعشق صغيرة حكمت عليه بالتشابك الأبدي منذ أول نظرة لها وأول صرخة من شفتيها الصغيرة لتكن ابنه وحبيبه ليرفض الجد بشدة طارداً اياه لإكمال دراسته بالخارج ليتم الثلاثين بعيداً عنها يراقبها عن بعد يتألم لمرضها ويسعد لفرحتها، تمر على مخيلته تلك اللحظات الصعبة عند فراقه لها وكلمتها الوحيدة التي نطقت بها حينها "لن أسامحك" ولو كان بيده لما غادر يوماً ولكنه عاد، عاد لها وحدها متمنياً أن يسمع حبها له من بين شفتيها ولكن منذ دقائق وعلم من جده ما حدث لينقسم قلبه فتات نتيجة رفضها له.

بعد ساعات طوال أشتد فيهم شجار العائلة على دخولها بين يديه لتستكين قلوبهم سريعاً ولكن ما زال ثورة غضبهم في قمتها ولكن بهدوء و رزانة عقل جاسر استطاع أن يهدأ من الوضع لتفيق بمنتصف الليل تراه يجلس بالمقعد المجاور يناظرها بحزن دفين ليهلع عليها

- ورد، استريحي
- جاسر
- عيونه

بكت وبكت وقطعت قلبه لألف شذية وشذية ليجزم على إزاله حزنها ولو بعد حين ليقطعهم دلوف الجد ما إن علم بإفاقتها وما من ثواني وكان يصفعها صفعة ترتعد لها الأبدان مع علو صوت النساء من حوله فما كان منها إلا أن احتمت به كما كانت منذ صغرها وكم أحب ذلك ليقف بشموخ رجل يدافع عن حبه

- جدي، لا أسمح لأحد أن يضربها
- اياك نسيت أصلك يا جاسر
- جدي، أرجوك
- فرحكم في معاده

ورحل كرحيل الرياح مع وقع كلماته بقلبها لم تعلم أتفرح لاجتماعها بحب العمر أم تحزن على فراق تعلم أنه لم يكن بيده أو يدها ليعلو شهيقها فما كان منه سوى احتضانها ولكنها كعادتها تفاجأه بقوتها لتبعده بقوة تصرخ عليه مع هطول دموعها

- لا أريدك، لا أريدك، اترك، اترك كما تركت من قبل
- لم اترك وردتي لم اترك يوماً صغيرتي كنت بجانبك دوماً
- لا أحبك
- أنا أحبك صغيرتي، أحبك منذ نعومة أظافرك
- أردت الهرب منك، أردت تركك كما تركتني

- لم أتركك
- أبتعد جاسر

تركها وحدها بحزن يختلج كل ثنايا قلبه بدموع رجل عذبه حبه، يتذكر أياماً كانت له سبيل للعيش بوحدته بعيداً، تذكرها عند ولادتها وضحكتها الناعمة حينما أطلق عليها اسم ورد لتصبح اسم على مسمي، تذكرها وهي تكبر لتتزين بضفائرها وفيونكتها الوردية لينمو حبها يوماً بعد يوم بقلبه وتتعلق به وكأنها جدار يحميها ولكن كشف حبهم ليرفضه الجد لصغر عمرها مع وعد أنها لن تكون لسواه ولكن عندما تبلغ من العمر ما يجعلها تختار بصدق ليرحل بصمت جارح له ولها.

تدلف لنافذتها، تتمسك بسلسال من الفضة على شكل وردة صغيرة لتتذكر حينما أهداها أياها بعمرها الصغير جداً ومن حينها لم تترك رقبتها يوماً لتكون كشعلة أنارت الحب بداخلهم مع اعترافه الهامس وكلمته اللذيذة لقلبها "وردة يا ورد" فيسكنها الشوق له وكأن نظرة عيناه أذابت ما بداخلها من عتاب، يشتد صوت المطر مغرقاً اياها ليأتيها من الخلف غارقاً معها تحته، يناظرها بحب جاذبها بداخله بهدوء لتتمسك به كالقشة فها هي تهرب منه إليه

- لا تترك
- لا أترك يا صغيرة، لا أتركك بعد الأن يا وردتي

تتمسك به وبوردتها أعلى صدرها وكأنه لم يمر خمس أعوام فها هي تتكرر اللحظة ليشهد المطر على حب نشأ منذ الصغر لتكون لحظة عودة لا فراق ولأول مرة يبتسم كلاهم براحة واطمئنان

- تتذكر
- وردة يا ورد
- أحبك
- والله إن الحب لم يدق بابي سوى على يدك فما خُلقتي سوى لحبي وما خُلقت إلا لك.

"كنت يوماً أنا واليوم كُلي أنت"

***